مقدمة

تسهم هذه الدراسة في إلقاء الضوء على جوانب مختلفة من حياة شخصيتين بارزتين في فكرنا العربي القديم، المتعلقة بالدرسات اللغوية، وهما المازني وابن مالك . كما تحاول هذه الدراسة ـ أيضا ـ أن تسهم بدورها فيما توصل اليه تطور البحث اللغوي الحديث للكشف عن معالم المنهج المتبع عند علمائنا القدامى .

لقد جاءت هذه الدراسة تبحث في مجال اهتمام القدامى بالجانب اللغوى، وبخاصة ما تعرض له المازني وابن مالك في دراستهما الصرفية . لذلك جاء هذا البحث مستهدفا إبراز أوجه المقارنة بين هذين العالمين من حيث المنهج والمحتوى ، نظرا للاسباب التالية :

١ ـ توافر المادة الصرفية وتقاربها لدى كل من هاتين الشخصيتين .

٢ ـ يبحث الموضوع في التراث العربي ، وبخاصة في جانب دقيق منه وهو علم " التصريف ".

٣ ـ يؤرخ لكلمة " التصريف والصرف " منذ القرن الثاني الهجري الى القرن السابع الهجري من حيث المصطلح والدلالة .

٤ ـ يبحث في أدق مرحلة مر بها هذا العلم ابتداء من القرن الثالث الهجري .

٥ ـ يلقى الضوء على موضوعات علم التصريف منذ أبى عثمان المازنى إلى أيام ابن مالك .

٦ ـ يؤرخ لأهم ما ألف في هذا العلم منذ ظهوره إلى نهاية القرن السابع الهجري .

٧ ـ انه يوضح بجلاء الاتجاهات التي سادت التأليف في علم التصريف من المازني الى ابن مالك .

٨ ـ يلقي الضوء على المنهج السائد في التأليف في هذا العلم خلال هذه المرحلة التاريخية الطويلة .

٩ ـ يقارن بين عالمين يعد الأول من الأوائل الذين ألّفوا في التصريف والثاني يعد من العلماء الأواخر الذين أسهموا بمؤلفات في النحو والصرف معا .

هذه أهم الأسباب التي كانت حافزا قويا لإنجاز هذا البحث الذي جاء في قسمين :

احتوى فيه القسم الاول على ثلاثة أبواب خصصته للمنهج .

الأول : "التصريف موضوعاته وموءلفاته" . وقسم الى فصلين:الأول في التصريف وموضوعاته، والثاني فيموءلفات علم التصريف .

الثاني : " التبويب والتنظيم " وقسم الى فصلين:الأول منهما خاص بالمازني ، والثاني بابن مالك. تحدثنا فيهما عن المنهج العام في تقسيم الأبواب والفصول ، ومنهج المازني وابن مالك في اختيار الموضوعات الخاصة بالتصريف،وفي الموضوعات المتفق عليها والمختلف فيها ، ثم مقارنة بين العالمين في كل ذلك.

الثالث: " الاستشهاد والاستدلال " وقسم الى فصلين الاول خاص بالمازني،والثاني بابن مالك. تحدثنا فيه عن كلام العرب المنظوم والمنثور ، ولغة القبائل،وآراء العلماء، والسماع، والحكاية،والشاهد القرآني ، والقراءات، والأحاديث النبوية ، والمذاهب النحوية ، ثم مقارنة بين المازني وابن مالك فيما جاء في الباب كله.

القسم الثاني : احتوى هذا القسم على ثلاثة أبواب :

الأول : " موضوعات الدرس الصرفي " وقسم الى فصلين :

الأول : خاص بالمازني والثاني خاص بابن مالك :

تحدثنا فيه عن الموضوعات التالية :

١ ـ الأبنية والأوزان .
٢ ـ الزيادة .
٣ ـ الإعلال .
٤ ـ الإبدال .
٥ ـ القلب .
٦ ـ الحذف .
٧ ـ النقل أو التحويل .
٨ ـ الإدغام والإظهار .
٩ ـ الشاذ .

١٠ ــ بناء مثال من مثال ٠
١١ ــ الاشـــقاق ٠

ثم مقارنة بين الموضوعات عند العالمين ٠

الثاني : " مدى تأثر كل منهما بسابقيه " قسم بدوره الى فصلين : الأول منهما خـــــاص بالمازني ، والثاني بابن مالك ٠ درسنا فيه تأثر المازني بسيبويه ، وتأثر ابن مالك بسيبويه والمازني ، ثم مقارنة بين المازني وابن مالك في التأثر ٠

الثالث : " تأثير المازني وابن مالك فيمن بعدهما " قسم الباب كسابقـين الى فصلـين : الاول منهما خاص بالمازني ، والثاني بابن مالك تحدثنا فيه عن تأثير المازني وابـــن مالك في بعض العلماء وبخاصة في المادة العلمية ٠ ثم المقارنة بين العالمـــــين في الباب كله ٠

وتبرز أهمية الموضوع من خلال عنوانه فهو يتحدث عن نقطتين أساسيتين وهمـــا : المنهج والمحتوى ، فالمنهج لا يستغنى عنه ، لانه الطريق الذى يصل بالبحث الى نهايـة واضحة ٠
أما المحتوى فلا يخلو منه عمل علمي ما في حقل المعرفة ٠ فالمنهج والمحتوى لا يفترقـــان ، ولا يمكن أن يستغنى عن أحدهما دون الآخر فهما متلازمان ٠

نجد الى جانب المنهج والمحتوى ان البحث يغطي فترة زمنية تقدر بخمسة قرون إضافة الى هذا ما يعالجه البحث من موضوعات التصريف بخاصة ، ومقارنة بين عالم وآخر في عصرين مختلفين ٠

تخضع كل دراسة علمية لمنهج يتبع فيها لتصل الى نهاية واضحة ، ونتائج محـــددة ، وقد جاء منهج هذا البحث ملخصا في النقاط التالية :

١ ــ قسمت الرسالة الى قسمين الاول خاص بالمنهج والثانى خاص بالمحتوى، وجعلت فى كل قسم ثلاثةَ أبواب، وفى كل باب فصلين: الاول خاص بالمازنى، والثانى خاص بابن مالك، ماعدا الباب الاول من القسم الاول فقد جاء عاما في موضوعات ومؤلفات التصريف.

٢ ــ تتبعت كلمة التصريف والصرف من القرن الثاني الهجرى الى نهاية القرن السابع الهجري، ثم الموضوعاتِ وأهمَ الكتب التي أُلّفت فيه من المازني إلى ابن مالك.

٣ ــ جَمَعْتُ الموضوعاتِ الصرفيةَ الموزَعة في كتب العالمين وبخاصة في " التصريف " للمازني.

٤ ــ بيّنت منهج كل من العالمين في كل باب.

٥ ــ قارنت فى آخر كل باب بين منهج ومادة العالمين.

٦ ــ قسمت أبواب التصريف عند المازنى فى كتابه الى خمسة أقسام، وأبقيت على ما جاء عند ابن مالك في شرح الكافية الشافية ــ باب التصريف ــ على حاله.

٧ ــ وضحت ما اتفقا وما اختلفا فيه.

٨ ــ قدمت ما جاء في "التصريف" عند المازني؛ لانه الأول، ثم بما هو عند ابن مالك ثانيا.

٩ ــ بدأت بنص المازنى أو ابن مالك أولا، ثم اتّبعت ذلك بنص غيرهما فى بابي التأثر والتأثير.

١٠ ــ بيّنت فى أول كل باب أو فصل من كتاب " التصريف "، و " شرح الكافية الشافية " المنهجَ المتبعَ فيه.

لاحظت فى اثناء جمع المادة العلمية ان المكتبة اللغوية تفتقر الى مؤلفات فى المنهج والمحتوى بين عالمين فى علم " التصريف " بالذات، لاهتدى به فى انجاز هذا البحث. ولست أنفى الكتب المؤلفة فى المنهج العام سواء ما تعلق باللغة أم بالادب فهذا كثير، الا ان ما أعنيه ما ألف فى منهج كتاب فى التصريف سواء ما تعلق بموضوعاته وجزئياته،

أم فيما تعلق بطريقة التأليف من حيث خطة الكتاب كالتقديم ، والعرض ، والتبويب والتنظيم، والتقسيم ، والتأثر، والتأثير، وما يتعلق بالمنهج كله .

على الرغم من كل هذا الا انني اخذت في المنهج فيما يتعلق بالتصريف للمازنـــي بالكتب التالية :

١ ــ أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو.[١]

٢ ــ أبو عثمان المازني المجدد ومؤلفاته وأثره . [٢]

٣ ــ التصريف لابي عثمان المازني منهاجه ومصادره . [٣]

أفادت هذه الكتب بعض جوانب المنهج ، ولو أنها قليلة ومحدودة وفي جزئيات متفرقـــة ، الا انها أنارت لي الطريق في جوانب من المنهج .

أما فيما يخص منهج ابن مالك في التصريف فلم أجد من تحدث عن منهجه وما عثـــرت عليه يتعلق ببعض الاشارات في مقدمة شرح الكافية الشافية . [٤] وما جاء فيها خاص بالنحو .

ولم أهتد قبل إنجاز هذا العمل على كتب أو كتاب تناول موضوعات الدرس الصرفي عند ابن مالك من حيث المنهج والمحتوى في شرحه للكافية الشافية ، ولا أنكر انني أفدت مـــن الكتب التالية التي ألفت حول ابن مالك :

١ ــ ابن مالك وأثره في اللغة العربية . [٥]

٢ ــ ابن مالك وأثره في النحو . [٦]

---

(١) للدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي ، والكتاب مطبوع .

(٢) للدكتور عبد الرحمن محمد فاخر . دكتوراه في كلية اللغة العربية جامعة الازهر عـــام ١٩٧٣ .

(٣) للدكتور عبد الرحمن محمد شاهين . دكتوراه جامعة القاهرة عام ١٩٧٣ .

(٤) تحقيق د. أحمد عبد المنعم أحمد الرصد ــ دكتوراه كلية اللغة العربية جامعة الازهر .

(٥) د. يحيى محمد يحيى الأسيوطي ــ دكتوراه كلية اللغة العربية جامعة الازهر .

(٦) د. عبد المنعم احمد هريدي ــ ماجستير كلية اللغة العربية جامعة الازهر .

٣ ــ ابن مالك النحوى فى كتابه التسهيل . [١]

٤ ــ نحو ابن مالك بين البصرة والكوفة . [٢]

الا اننى لم استطع الحصول او الاطلاع على رسالة بعنوان " أثر ابن مالك فى الدراسات الصرفية " لعثورى على هذا العنوان اخيرا وهو رسالة جامعية لم تطبع بعد.[٣]

لا يخلو أي بحث من الصعوبات وبالاخص اذا كان العمل فكريا ، وكان خاصا بالمقارنة فى المنهج والمحتوى فى مادة علمية مثل " التصريف " وبين شخصيتين يعدان من أقطاب هذا العلم.وأول هذه الصعوبات اختيار الموضوع، وتبويبه ، وعدم العثور على دراسات سبقت الموضوع إضافة إلى هذا الفترة الزمنية التى بلغت ما يقرب من خمسة قرون بين المازنى وابن مالك. ولم تكن موضوعات الدرس الصرفى عند ابن مالك بالسهولة التى يتصورها كل من لم يقترب من ابن مالك، لان موضوعات الدرس الصرفى متباينة فى كتبه المختلفة كشرح الكافية الشافية والالفية والتسهيل . ثم هناك كتب أخرى لم يصنفها ابن مالك لا مع النحو ولا مع الصرف فمثلا " لامية الأفعال " هل هو من النحو أم من التصريف، ام هو كتاب مستقبل لا ينتمى الى هذا أو ذاك ؟ ، أم هو موضوع مستقل جرى فى تأليفه على غرار " منظومة فيما ورد من الافعال بالواو والياء " و " منظومة فى الافعال التى تبقى على حرف واحد " وغيرها من المنظومات التى اعتنت بجمع جزئيات قليلة فى موضوع واحد .

رجعت الى شروح التسهيل لعلنى أجد من تحدث عن المنهج والمحتوى وبخاصة فى القسم الخاص بالتصريف فوجدت أبا حيان المتوفى (٧٤٥ هـ) ، والمرادى (ت٧٤٩ هـ)

---

(١) د. محمد كامل بركات ــ ماجستير ــ كلية اللغة العربية ــ جامعة الازهر .

(٢) د. عبد الرحمن محمد السيد ــ دكتوراه ــ جامعة القاهرة .

(٣) لمحمد آدم الزاكى ــ رسالة جامعية ــ المملكة العربية السعودية ، يراجع فى النحو والصرف فى مناظرات العلماء ومحاوراتهم .

شَرَحَا ما يتعلق بموضوع التصريف فى التسهيل،ولكنهما لم يفرقا بين موضوعات التصريف عند ابن مالك فى كتابه التسهيل ، وبين الموضوعات التى جاء بها ابن الحاجب فى شافيته،ولعل العالمين (أبا حيان والمرادى) تأثرا بمدرسة ابن الحاجب وجمعا كلّ ما يتعلق بالتصريف فى مفهومهما ، وفى مفهوم مدرسة ابن الحاجب لافيما ذهب اليه ابن مالك فى التسهيل . فالتصريف فى التسهيل والذي يعنيه ابن مالك هو ما جاء ضمن " باب التصريف " أما ما جاء قبل هذا الباب فهو داخل ضمن النحو .

ولم أهتد الى موضوعات التصريف عند ابن مالك الا فيما وجدته عند المازنى ومن نهج منهجه كابن السراج ومن جاء بعده الى أيام ابن مالك. فالتصريف عند ابن مالك هو ما جاء ضمن باب التصريف . وباب الابدال وباب تصريف الافعال والاسماء المشتقة كما هو موضح فى الباب الاول والثانى من القسم الاول .

ولم يشر أبو حيان[1] ولا الدماميني إلى أن ابن مالك فرّق بين ما جاء ضمن باب التصريف ، وبين الموضوعات الصرفية التى جاءت ضمن باب النحو ، ومحقق[2] " القسم الصرفى من شرح التسهيل " للمرادى ، لم ينبه على هذا ، وذكر فى تعليق له مؤاخذا ابن مالك والدماميني فى إدخالهما ضمن التصريف " باب اعراب الفعل وعوامله "[3] يقول : (من المعروف ان هذا الباب أقرب منه الى النحو من الصرف ، ولو أنه اختص بالفعل المضارع وعوامله ، دون غيره من الافعال ، ومع ذلك فان ابن مالك يؤاخذ عليه فى عده ضمن مواضيع الصرف ، وقد تابعه المرادي على ذلك)[2] ، الا ان منهج ابن مالك مغاير تماما لما ذهب اليه المحقق،كما هو موضح فى الباب الثانى من القسم الاول .

وقد أفدت كثيرا من المنصف لابن جنى ، وشروح الالفية عموما و شروح التسهيل سواء كان ذلك مطبوعا أم مخطوطا . وأود ان اكون موفقا فيما اقبلت عليه من عمل ابتغى به وجه الله .

(١) القسم الصرفى من ارتشاف الضرب لابى حيان ت/ أحمد بسيونى جامعة القاهرة ـ ماجستير ـ وسماه المرادى القسم الصرفى من تسهيل الفوائد ت/ ناصر حسين جامعة القاهرة.دكتوراه.

(٢) الدكتور ناصر الدين على .

(٣) القسم الصرفى من شرح التسهيل للمرادى ص٢٠٠ ، التسهيل ص ٢٢٨ .